ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة التواصلية

ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد:08/ العدد: 01 (2022) ص: 29/11

سوسيولوجية رواية "يوتوبيا"لأحمد خالد توفيق وفق نظرية لوسيان غولدمان

The Sociology of the "Utopia" novel by Ahmad Khaled Tawfik based on Goldman's theory

الدكتور نعيم عموري*	پروانه شمس الدين ريمله
جامعة شهيد تشمران اهواز-اهواز (ايران)	جامعة شهيد تشمران اهواز-اهواز (ايران)
n.amouri@scu.ac.ir	parvane.shamsedin2014@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/ 10/21
تاريخ القبول:
2022/01/27

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السوسيولوجية:
- ✓ الرواية:
- ✓ يوتيوبيا:
- ✓ احمد خالد توفيق:
- ✓ لوسيان غولدمان:

الملخص:

دراسة سوسيولوجية النص، من الأساليب الجديدة في نقد وتحليل الآثار الأدبية من النثر والشعر ومن الواضح أن بين الأثر الأدبي وبين الأحداث وتطورات المجتمع علاقة وثيقة من الاجتماعية، والسياسية، والثقافية. أحمد خالد توفيق، الأديب الروائي المصري وأحد كتّاب أدب الرعب في الأدب العربي، إنه كتب روايته الشهيرة، باسم "يوتوبيا"، التي عالج فيها أحداث وتطورات المجتمع المصري، من بداية السبعينيات من القرن المنصرم الى العشرينيات من القرن الحاضر. هذه الرواية خيالية؛ لكن قريبة إلى الواقعية وإنه يرى أن المجتمع المصري في المستقبل القريب، سيكون هكذا حيث سيغتصبه اليهود والأمريكان. إن الرواية حول طبقتين، الاولى سكان "يوتوبيا" وهم الأثرياء واليهود، الذين يعيشون في الساحل الشمالي لمصر ويحرسها رجال المارينز.

Article info

Received
21/ 10/2021
Accepted
27/01/2022

Keywords:
- ✓ *sociology :*
- ✓ *novel:*
- ✓ *Utopia:*
- ✓ *Ahmad Khaled Tawfik:*

Abstract :

The sociological study of texts is among the new criticism methods for literary works whether poems or prose. There is strong relationship between literary works and the changes and incidents in society where social, cultural, and political transformations are quite evident. Ahmed Khaled Tawfik is an Egyptian novelist and one of the horror literature authors in Arab literature. He wrote a popular novel called "Utopia", in which he dealt with the incidents and transformations of the Egyptian community from the early 1970s to the 2020s. This novel is a fictional work of literature but related to reality.

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1.المقدمة

إن الأدب من النثر، والشعر، ناتج عن المجتمع الذي يعيش فيه الأديب وصورة من أحداثه وظروفه. إنّ الرواية من الأنواع الأدبية، التي تعتبر من أهم أسباب اِتصال الأديب، بالمجتمع والواقع الإجتماعي الذي يعيش فيه. قيل" إن الرواية هي الجنس الأدبي الأقدر على التقاط الأنغام المتباعدة، المتنافرة، المركّبة، المتغايرة الخواص لإيقاع عصرنا ورصد التحولات المتسارعة في الواقع الراهن."[1] وأيضاً " إنّ الرواية تجربة أدبية، تعتبر أنها بأسلوب النثر سردا وحوارا من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد أو (شخصيات) يتحركون في إطار نسق إجتماعي محدد الزمان والمكان ولها امتداد كمّي ومعيّن، يحدد كونها الرواية." [2] ومن هذا المنطلق إن النقد السوسيولوجي، يستند بالعلاقة بين الأدب والمجتمع ويعتبر أدب الإنعكاس من ظروف وأحداث الحياة الإجتماعية، من أهم المناهج الجديدة، الذي يستخدم في نقد وتحليل الآثار الأدبية وخاصّة الرواية. إنّ النقد السوسيولوجي، "يدرس تأثير الأدب على المجتمع وتأثير المجتمع على الآثار الأدبية"[3]. ويعتقد لوكاتش "بإنعكاس الحياة اليومية في الأثر الأدبي، فيرى أن هناك علاقة وثيقة بين الأشخاص والرواية تحدث عن بعض التحولات التي تحدث في المجتمعات البشرية في واقعها وظروفها، مع أنها تشير إشارة إلى المتغيرات الخاصة التي تتفاعل مع الواقع الإجتماعي."[4] كما كان يرى ابوليت تين "بأن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة مباشرة وكان يبدي نوعا من التزمّت في هذا الاتجاه. ففي رأيه يعد الأدب انعكاسا للتقاليد والسلوك والأخلاقيات في عصر الكاتب. إن الآثار الأدبية وليدة التعامل بين ثلاثة عوامل وهي: العوامل الحياتية والثقافية والتاريخية وتبرز العوامل الحياتية في العنصر؛ أما الثقافية فتظهر في البيئة والعوامل التاريخية تبرز في الزمان."[5]

في هذا البحث، نريد أن نقوم، بدراسة سوسيولوجية رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، وفق نظرية غولدمان التي تعتقد بالعلاقة الوثيقة بين المجتمع والأدب ويرى غولدمان أنّ الأثر الأدبي، صورة من أحداث المجتمع وأنّ الحياة الإجتماعية، هي سبب الإبداعات الأدبية وفي هذا المجال تبع لوسيان غولدمان، منهج أستاذه جورج لوكاتش، رواية "يوتوبيا"تعالج الصورة المجتمع المصري تحت سيطرة اليهود والأمريكان وإن الأديب الروائي من خلال الإشارة إلى "يوتوبيا" الخيالية، يريد أن يشير إلى المدينة التي ستعمر بين مصر وفلسطين خلال عام (2023م). يحكي الكاتب، أحوال المصريين في المستقبل القريب ويشير إلى إغتصاب إسرائيل هذا البلد وإحتقار المصريين ويكشف الستار عن الحقائق

---

[1]. حسان رشاد شامي، المرأة فى الرواية الفلسطينية (1965-1985)، دمشق: منشورات اتحاد كتاب غرب، **1998**م ، ص ،**15**.

[2]. طه وادى، الرواية السياسية، القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، **1996**م، ص **56**.

[3]. عبدالحسين زرين كوب، نقد ادبى، طهران، اميركبير، **1361**ه.ش، ص **41**.

[4].لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجيه الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكى، بيروت ، دار الحوار والتوزيع، **1993**م، ص 24.

[5]. احمد رحمانى، نظريات نقدية و تطبيقاتها، قاهرة، مكتبة وهبة، **2004**م، ص **120**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الكثيرة، خلال تجاوز العدو الصهيوني ويشير الكاتب إلى هذه الحقيقة في روايته من خلال الطبقتين، الأولى الطبقة البالغة الثراء وهي سكان "يوتوبيا" (اليهود والأغنياء) والثانية عامة الناس (المصريون).

2. أسئلة البحث

هدف هذا البحث الاجابة عن السؤالين التاليين:

1. ما هو هدف أحمد خالد توفيق، من كتابة هذه الرواية؟

2. لماذا اختار الكاتب، عنوان "يوتوبيا"، لروايته؟

3. فرضيات البحث

هدف أحمد خالد توفيق، من كتابة هذه الرواية، الإشارة إلى استعمار الغرب والصهيونيّة على مصر. إنه من كتّاب أدب الرعب في الأدب العربي ومن خلال إشارته إلى "يوتوبيا"، وهي رواية رعب وأخذ أمد خالد عنوان الرواية من توماس مور له رواية شهيرة باسم "يوتوبيا"، وهي رواية خيالية مثالية أراد منها السعادة، أما أحمد خالد فركز على الرعب في روايته والمدينة المخيفة والمتزخرة بأنواع الفساد والجور فى الساحل الشمالي لمصر. يدعو المصريين بالمقاومة، مقابل جور واغتصاب اليهود والأمريكان وهدفها الوعي الجَماعي وتنبيه المجتمع المصري إلى الخطر الذي يهددهم ويختار الإسم "يوتوبيا" على هذه الرواية؛ ليبين للمخاطب؛ إغتصاب اليهود، الكامل والشامل وأن العدو الصهيوني، لا يتملك على أرض مصر فقط، بل استملاكه على الناس أيضا وعلى حريتهم.

4. خلفية البحث

الدراسات التي تطرقت إلى أعمال أحمد خالد؛ بحث الدكتور رضا ميرزايى وعلي رضا شيخي (2019م) "قراءة لرواية "أسطورة النداهة" لأحمد خالد توفيق في ضوء المنهج البنيوي التكويني لغولدمان"، المقالة محمد عبد الحنان (2017م) "المجتمع المصري في الرواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق" وبحث الدكتور سيد حسين هاشمي والآخرون (2019م)،"اللغة بين الورقية والرقمية أنموذجيّة لقصة ربع مخيفة للكاتب أحمد خالد توفيق"؛ اما حول السوسيولوجيا هناك بحوث عديدة، منها دراسة عبد الوهاب شعلان (2008م) "المنهج الاجتماعي وتحولاته"، دراسة ناصر قاسمي وزين العابدين فرامرزى (2016م) "الشعر القصصي عند خليل مطران في مرآة النقد الاجتماعي، .بحث الدكتور نعيم عموري (2020م) "دراسة سوسيولوجية في المجموعة القصصية قبل الغروب للأديبة القطرية "أمينة العمادي" على ضوء نظرية لوسيان غولدمان"، وبحث الدكتورة خاطره احمدي والآخرون (2018م)" و بحث دراسة سوسيولوجية في رواية "ذات"

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لصنع الله ابراهيم"، و بحث الدكتور نعيم عموري وزهرا سياحي حسيني (2019م)، "دراسة سويولوجية في رواية "الرهينة".

5. سوسيولوجيا النص عند لوسيان غولدمان

لوسيان غولدمان من مواليد القرن العشرين (1913-1970) ومن مؤلفاته: الإله الخفي 1955. و"من أجل سوسيوللوجيا للرواية 1964وأحد مؤسسي السوسيولوجيا الحديثة للأدب، جمع في أعماله بين علم الإجتماع والنقد الأدبي وأعتبر الأثر الأدبي يتغير بتغير بنية البيئة أو الوسط الإجتماعي الأمر الذي جعل منه رائد من رواد النقد الجديد وحاول أن يكشف العلاقة بين الأثر وبنية فكر الكاتب والجماعة التي ترتبط بها إقتصاديا وإجتماعيا وتاريخيا إنطلاقا من مفهوم البنيوية التوليدية."[1] يعتقد غولدمان في منهجه، ان تكون العلاقة وثيقة بين الأثر الأدبي والواقع الاجتماعي وأن الأثر الأدبي انعكاس من الأحداث وتطورات المجتمع ويقول أن "كل سوسيولوجية للفكر تقبل بوجود تأثير للحياة الاجتماعية على الإبداع الأدبي."[2]

لقد حاول غولدمان في تأسيسه لنظرية الرواية الربط بين الوسط الاجتماعي وخصائص الشكل الروائي انطلاقا من علاقات التناظر التي، تجمع بين الكائنات في المجتمع الرأسمالي المنتج للسوق وعلاقات التناظر التي يقيمها الناس يوميا بمتلكاتهم ووسطهم الاجتماعي.[3] يرى غولدمان "بأن الطبقات الإجتماعية هي التي تكوّن البنيات تحتية في الواقع (الرؤية إلى العالم أو العالم الخارجي) ويمكن للحد الأقصى من الوعي الممكن لطبقة إجتماعية ذات رؤية سيكولوجية منسجمة للعالم الخارجي أن تعبر عن المستوى البيئي والأدبي والفلسفي والفني للمظاهر والظواهر الطبيعية وغير الطبيعية في المحيط الذي يعيش فيه." [4] وهو يعتقد "كل سلوك وكل فكر يعتبران محاولة لتقديم جواب دال عن وضعية محددة يعيشها أفراد فئة اجتماعية معينة بشكل يجعلهم يصطدمون بنفس المشاكل والعوائق ويحلمون بنفس المثالات والمطامح، كما أن هذا السلوك من جهة ثانية يعتبر محاولة لخلق توازن بين الذات الفاعلة والموضوع المفعول."[5]

يرى غولدمان "في منظور مادي جدلي، أن الأدب والفلسفة من حيث أنهما يعبران عن رؤية للعالم-في مستويين مختلفين- فإن هذه الرواية ليست واقعية فردية، بل واقعة إجتماعية تنتمي إلى مجموعة أو إلى طبقة وتبعا لبرهنته، فإن أي رؤية للمعالم من وجهة نظر متناسقة ووحدوية حول مجموع واقع وفكر الأفراد الذي يندر أن يكون متناسقا ووحدويا

---

[1]. سمير حجازى،قضايا نقد الأدبى المعاصر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الآفاق العربية، **2007م، ص 60**.

[2]. لوسيان غولدمان، مقدمات فى سوسيولوجية الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكى، بيروت، دار الحوار و التوزيع، **1993م، ص 13**.

[3]. عبدالكبير خطيبى، الرواية المغربية، ترجمة محمد برادة، الرباط، منشورات المكرر الجامعى للبحث العلمى. **1971م، ص 124**.

[4]. سعيد علوش، الرواية و الايديولوجيا في الأدب المعاصر، بيروت، دار المنهل اللبنانى، **2009م، ص 107**.

[5]. لوسيان غولدمان، العلوم الانسانية و الفلسفة، ترجمة، يوسف الانطاكى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، **1996م، ص 15**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

باستثناء بعض الحالات لا يتعلق الأمر هنا بوحدة ميتافيزيقية ومجردة، بدون جسم ولا شكل، بل يتعلق الأمر بنسق فكري يفرض نفسه، في بعض الشروط على مجموعة من الناس توجد في شروط مشابهه، أي على بعض الطبقات الإجتماعية ." [1]

6. المنهج الإجتماعي

تطوّرت الدراسات الاجتماعية في الآونة الأخيرة وذلك بسبب تركيز الروايات والادب المسرحي على الوقائع الاجتماعية فـ "الدراسة السوسيولوجية للأدب، بمفهومها الحقيقي، فهي حديثة العهد ومازالت منجزاتها متواضعة حتى وقتنا هذا ويمكن وصف هذا المجال بأنه وجهة نظر أو موقف معين تجاه الأدب."[2] "يعد علم الاجتماع فرعا من فروع علم الاجتماع العام ويهتم هذا التخصص بدراسة الظواهر الأدبية والفنية والاجتماعية في ضوء المقاربة السوسيولوجية ويعني هذا أن الأدب يعكس المجتمع أو هو بمثابة مؤسسة مجتمعية كباقي المؤسسات الأخرى، التي لها دور هام داخل النسق الاجتماعي."[3]

"جورج لوكاتش، يعدّ بحق مؤسس علم الإجتماع الأدبي أو بالأحرى علم الإجتماع عبر الأدب. لقد درس لوكاتش العلاقة القائمة بين المجتمع والرواية و تأثير المعتقدات الفكرية عند الكاتب على مواضيع الآثار الأدبية وأفكارها."[4] تلاه لوسيان غولدمان الذي تفرغ لدراسة أفكار لوكاتش ووضع لها مناهج علمية فعلى رأي غولدمان أنّ الأثر الأدبي ليس إبداعا فرديا بل هو تمثيل أو تجسيد لأفكار الفئات الإجتماعية التي تحاول عرض أفكارها وأنّ الأديب أو المبدع إنما يقوم بإضفاء جانب فني إبداعي على أفكار الفئة الإجتماعية التي ينتمي إليها."[5] "يدرس علم الإجتماع الأدبي موضوع الشكل وعلاقته ببنيّة المجتمع، غير أن هناك علم إجتماع المضامين، الذي هو من فروع علم الإجتماع الأدبي، حيث يدرس الباحث من خلال المضامين والمحتويات السياسية، والإجتماعية والثقافية فيه كما أنه يمكن الباحث من الوصول إلى العلاقة القائمة بين النص الأدبي والإتجاهات الفكرية الخاصة بالطبقات الإجتماعية، التي تنتشر في المجتمع. يدرس هنري الاماسنكي، الآثار الأدبية من خلال علم اجتماع المضامين، حيث يعتقد أن تصنيف مضامين الآثار الأدبية وترتيبها يوفّران المواد الأساسية اللازمة لدراسات علم الإجتماع الأدبي."[6] في هذه الدراسة السويولوجية

---

[1]. لوسيان غولدمان و آخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، **1986م، ص 48**.

[2]. سمير حجازي، قضايا نقد الأدبي المعاصر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الأفاق العربية، **2007م، ص 31**.

[3]. جميل حمداوي، سوسيولوجيا الأدب و النقد، الطبعة الأولى، المغرب، مكتبة المعارف، **2015م، ص 242**.

[4]. عسكر عسكري، نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي، الطبعة الثاني، طهران، نشر فروزان، **2010م، ص 70**.

[5]. عسكر عسكري، نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي، الطبعة الثاني، طهران، نشر فروزان، **2010م، ص 73**.

[6]. عسكر عسكري، نقد اجتماعي رمان فارسي، الطبعة الثاني، طهران، نشر فروزان، **2010م، ص 69**

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الغولدمانية، نسلط الضوء على المضامين السياسية، والإجتماعية، والثقافية؛ للوصول إلى الإتجاهات الفكرية التي نحى نحوها أمد خالد عبر عبوره للزمن في روايته الرعبية.

العنوان من أهم أركان الأثر الأدبي له دور رئيسى في تصوير مضمون النص وهناك بين عنوان الرواية ومضمون النص، علاقة وثيقة كما قيل: "العنوان هو أول مثير سيميائي في النص، حيث يتمركز في أعلاه ويبعث خيوطه وشعاعاته فيه."[1] "فالعنوان ليس بنية نهائية، إنما هو بنية صغرى لا تعمل بإستقلال تام عن البنية الكبرى التي تحتها، فهي بنية إفتقار يعتني بما يتصل بها من قصة ورواية وقصيدة."[2] "إذ يعد العنوان مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا، فتكون للنص بمثابة الرأس من الجسد، نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة وأخرى استراتيجية إذ يحتل الصدارة فى الفضاء النصي للعمل الأدبي."[3] إن العنوان المنتخب، لرواية أحمد خالد توفيق، له علاقة وثيقة بمضمون النص الذي يعالج به الأديب وإن مضمون الرواية، يدور حوله "العنوان".

7. أحمد خالد توفيق حياته و نشأته

أحمد خالد توفيق، هو الطبيب والأديب المصري يعتبر أول كاتب عربي في مجال أدب الرعب والأشهر في مجال أدب الشباب والفانتازيا والخيال العلمي. ولد عام (1962م)، في مدينة طنطا، عاصمة المحافظة الغربية في مصر. تخرج توفيق من كلية الطب بجامعة طنطا عام (1985م) وحصل على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام (1997م). بدأ توفيق كتابة الرواية بسلسلة "ماوراء الطبيعة"، عام (1993م) وما شجعه على استكمال وأصدار بعدها سلسلة "فانتزيا"، عام (1995م) وسلسلة "سفاري"، عام رغم أن الرعب لم يكن سائدا في ذلك الوقت إلا أن السلسلة حققت نجاحا كبيرا واستقبالا جيدا من الجمهور (1996م) وأصدر عام (2006م) سلسلة "www".[4]

لأحمد خالد توفيق، روايات عديدة من أشهرها "يوتوبيا"، التي ترجمت إلى اللغات العديدة. اشتهر توفيق أيضا بالكتابات الصحفية، فقد انضم عام (2004م)، إلى مجلة الشباب، التي تصدر عن مؤسسة الأهرام وكذلك له منشورات عبر جريدة التحرير والعديد من المجلات الأخرى. كان له نشاط في الترجمة، حيث قام بنشر سلسلة "رجفة الخوف" وهي روايات رعب مترجمة وكذلك قام بترجمة رواية "نادي القتال" الشهيرة من تاليف تشاك بولانيك وكذلك

---

[1]. فاطمة مغراوي، دراسة سيميائية لرواية بحر بلا نور سنبيروت، بيروت، دار الكتب، **2015م**، **ص 123**.

[2]. محمود عبدالوهاب، مدخل لدراسة العنوان القصص، الكويت، دار الشؤون الثقافية، **1995م**، **ص 19**.

[3]. عبد الله العيش، سيمائية العنوان في مقام البوح، الطبعة الثاني، دمشق، منشورات الجامعة ولدي.

[4]. محمد عبدالحنان، المجتمع المصري في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، مجلة الأقلام، الهند (فصلية محكمة)، السنة الثانية، العدد4، **2017م**، **ص 64**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ترجمة رواية "ديرمافوريا"، لكريج كليفنجر عام (2010م) وترجمة رواية عداء "الطائرة الورقية"، للروائي الأمريكي من أصل أفغاني خالد الحسيني عام (2012م).[1]

8. ملخص الرواية

تدور القصة، حول مدينة باسم "يوتوبيا" وهي مدينة الأغنياء، المنعزلة من المجتمع المصري، التي تقع في الساحل الشمالي لمصر. إن سكانها اليهود والأغنياء حيث يحرسهم رجال المارينز الأمريكان، هذه الرواية حول مدينة واقعية، بين مصر وفلسطين، في المستقبل القريب. يبدأ الكاتب روايته، حول أسرة بالغة الثراء، بإسم "مراد" وزوجته "لارين" من سكان "يوتوبيا"، لهما ابن اسمه علاء، وهو بوسعه أن يشتري "يوتوبيا" كلها، مع ذلك، يرى الحياة فى "يوتوبيا" مُمِلة وقد مَلّ من الرفاهيّة ويريد أن يجرب صيد البشر، في خارج "يوتوبيا". يطالب صيده من المصريين، الذين يعرفون في هذه الرواية "بالأغيار" وإن كسر هذا الملل عنده، هو قتل إنسان فقير والعودة بالقطع منها كتذكار، على سبيل الفخر وفي هذا المجال يريد مرافقة صديقته جرمينال، أن تكون مقترنه معه في هذه المغامرة. خرج علاء وجرمينال، من "يوتوبيا" بحافلة العمال. يبدأ بطل الرواية، المغامرة مع صديقته جرمينال، في خارج أسوار "يوتوبيا" ويلتقيان في هذه المغامرة بالأحداث والأخطار الكثيرة، في المدينة التي لاتملك شئيا من الرفاه ويعيش ناسها في الفقر المدقع، أكلهم لحم الكلاب. حينما يقرر علاء، أن يصيد فريسته، يواجه الشباب الذين يحيطونه ويقول أحد منهم هذان من "يوتوبيا" وفي هذه الأثناء يجيء "جابر"، هو شاب من "الأغيار" ويساعدهما على النجاة؛ لكن رغم سعي جابر، بعودتهما عبر الأنفاق السرية، التى يحفرها "الأغيار"، لسرقة من "يوتوبيا"، يقتله علاء ويذهب بيده إلى "يوتوبيا"، كتذكار من "الأغيار"؛ لكن بعد بضعة ايام، يتناثر خبر قتله. ويتحرك المصريون نحو "يوتوبيا"، أعنف من كل زمن ويطالبون بعقوبة سكان "يوتوبيا". يعلن رجال المارينز الأمريكان لسكان "يوتوبيا"، بمغادرة قصورهم. ولن تستطيع طلقات رجال المارينز، أن تطفئ حماسهم. أن المصريين، في هذه الرواية رغم الفقر المدقع والحرمان، يستطيعون أن يخرجوا اسرائيل الغاصب وحاميها الأمريكان من أرضهم. وهذه نتيجة اتحادهم مقابل العدو الصهيوني، أي وحدتهم الفكرية.

9. الدراسة والتحليل

تنقسم هذه الرواية، إلى خمسة اقسام ويسمي الأديب الروائي، أحمد خالد توفيق،كل قسم منها بالفريسة (المصريين) والصياد (الأغنياء واسرائيل) ويبدأ قصته بالصياد. يعالج الكاتب في هذه الرواية، القضايا والأحداث حول

[1] . Greenberg, Nathaniel. (2018)." Ahmed Khaled Towfik: Days of Rage and Horror in Arabic Science Fiction". Journal Critique: Studies in Contemporary Fiction. Volume 60. Issue2. pp169-178.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

طبقتين، بإستخدام الشخصيتين منهما وتشير بالتحدّي، والتعدّي، والفساد، والفقر، وتضاد بين الطبقتين و... . تعالج في هذه الرواية القضايا الاجتماعية، والسياسية، والثقافية للمجتمع المصري خلال عام (2023م)، التي يشير إليها أحمد خالد توفيق، خلال قصته ومنها:

9-1. تصوير الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب

يقول الكاتب الروائي من الظروف الصعبة، التي ستحصل بعد انعزال الأغنياء من عامة ناس مصر والإغتصاب الصهيوني، من خلال مغامرة بطل القصة الذي اسمه علاء، في هذه الرواية:

يصمّم بطل الرواية على الخروج من "يوتوبيا"، بالحافلة التي تنقل العمال "يوتوبيا"، إلى مناطقهم ويقول:

"هناك عمال في "يوتوبيا"؛ لأن هناك أعمالا لا نستطيع القيام بها. يأتون صباحا بحافلة خاصة ويعودون بها ليلا وهم تحت المراقبة في كل الظروف لا يتكلمون ولا يرفعون عيونهم لكن تشم منهم خليطا مزعجا من المقت والخبث والتملق والغضب المكبوت والرائحة الكريهة. سنوات من القهر جعلتهم أقرب إلى الوحوش. يوما بيوم يفقدون جزءا من آدميتهم حتى صاروا كائنات مريعة بحق." [1]

يصور الكاتب في هذه السطور أوضاع المجتمع المصري، بعد أن يقسمهم إلى طبقتين خلال عام (2023م) كما يشير إليها الكاتب في روايته. وعن الحكم الإسرائيلي على عامة الناس ومن هذا المنطلق يتنبه المخاطب، بجور وإحتلال البلاد المستعمِرة، المصريون عمال للأغنياء من "يوتوبيا" وهو يشير بالسنوات الصعبة المتوالية بعد إغتصاب إسرائيل أراضي مصر. في دراستنا السوسيولوجية وفق رؤية غولدمان، يربط الأديب بين أفكاره وبين واقع الطبقة الإجتماعية المسحوقة.

بعد أن يخرج علاء وصديقته جرمينال، من "يوتوبيا" يلتقيان بالعالم الجديد والمروع ويقول علاء: "

هولاء القوم يتظاهرون بأنهم أحياء، يتظاهرون بأنهم يأكلون لحما ويتظاهرون بأنهم يشربون خمرا وبالطبع يتظاهرون بأنهم نسوا مشاكلهم ويتظاهرون بأنهم بشر...الآن فقط أفهم لماذا عزلنا أنفسنا في "يوتوبيا"، لم يعد في هذا العام إلا الفقر والوجوه الشاحبة التي تطل منها عيون جاحظة جوعى متوحشة منذ ثلاثين عاما كان هؤلاء ينالون بعض الحقوق أما اليوم فهم منسيون تماما حتى الكهرباء والماء مشكلة فريدة لكل منهم. [2]

[1]. أ حمد خالد توفيق، يوتوبيا، طبعة الأولى، قاهرة، دار الميريت،**2008م، 40**.

[2]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، طبعة الأولى، قاعرة، دار الميريت، 2008م، **ص 51-50**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يشير الأديب الروائي الى اضطهاد مجتمعه المصري، خلال الإغتصاب الصهيونيي في المستقبل القريب وبناء المدينة التي تكون لليهود وللأثرياء في الساحل الشمالي لمصر ويقول الكاتب آنذاك أن المصريين منسيون تماما ويتصور احمد خالد توفيق في روايته، أحوال المجتمع المصري المغتصب. وفق النظرية الغولدمانية، وكأنّه يتنبأ بما سيقع على مصر.

بطل الرواية يحتاج إلى بطاقة هوية العاملين، لخروجه من "يوتوبيا"، ويستطيع أن يحصل عليها بحيلة:

"وقفتُ على بعد خطوات من الرجل أقضم شطيرة من الهامبرجرز في تلذذ. رأيت عيني الرجل تتسعان وهو يرمق الشطيرة. قلت له في ترغيب: هل تريد قضمة؟ نظر لي في حذر كذئب يدعوه أحدهم لقطعة لحم ولم يرد نظرت حولي ثم قلت همسا: "لا أستطيع أن أعطيكما هنا تعال خلف هذا الجدار لو رآنا أحد الحراس لكانت مشكلة لك" لم أترك له فرصة للتفكير أسرعت خلف الجدار القريب ووقفت، بعد دقيقة ظهر لي كما توقعت ولعابه يسيل وعيناه متصلبتان على الشطيرة: "هاتها! ما أقبح منظره! كل عالمه تلخص في هذه الشطيرة التي في يدي ولم يعد يعرف أي شيء عما يدور حوله. هنا دارت جرمينال بدورها حول الجدار ثم هوت على رأسه بقطعة قرميد أخفتها في حقيبتها.[1]

نستطيع أن نفهم من هذا النص خلال الإحتلال الإسرائيلي، لا يوجود أى قانون، يحمي المصريين، إن العدو، يقتل المصري بسهولة دون رادع من أي شيء والقانون هو رجال المارينز، أي الأمريكان وخلال الإستعمار، يتمنى المصري الطعام الرخيص ليشبع نفسه ويريد الكاتب من هذا المنطلق، أن ينبّه المخاطب بالظروف الصعبة التي ترتكز على شعبه. تتقاتَل الناس من أجل الطعام ويملك الأثرياء واليهود كل شيء ونستطيع أن نعرف من مفهوم هذه السطور، أن المصريين يعيشون في نهاية الحرمان. وفق دراستنا السوسيولوجية، نستطيع أن نرى العلاقة بين أحاسيس وأفكار الأديب من الواقع الإجتماعي وبين الأثر الأدبي؛ كما قد جاءت في النظرية الرواية عند لوسيان غولدمان: "كل سوسيولوجيا للفكر تقبل بوجود تأثير للحياة الإجتماعية على الإبداع الأدبي." [2]

وفي موضع آخر، يتصور الكاتب صورة شعبه بعد إستعمار العدو، من خلال مغامرة بطل الرواية، بعد نفوذه إلى مجتمع "الأغيار"؛ كما نشير إليها فيما يلى:

"الآن نخرج من منطقة السوق هذه؛ كي نتوغل بين مجموعة من العشش الصفيح أو المصنوعة من البامبو وبقايا اعشاب الأرض مبتلة تغوص فيها قدماك مزيج من الوحل وبقايا الغسيل والمجاري الطافحة أمشي في حذر لأن التعثر هنا نوع من الإنتحار."[3]

---

[1]. توفيق، أحمد خالد، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة، دار الميريت، **2008م، ص 41-40**.

[2]. لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ترجمة، محمد بدرالدين عرودكى، بيروت، دار الحوار و التوزيع، **1993م ص 13**.

[3]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة، دار الميريت، **2008م، ص 54**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يتصور الكاتب في سطور مذكورة، الصورة الشنيعة من البيوت في المجتمع المصري خارج "يوتوبيا" ويبين للمخاطب الظروف الصعبة، التي ستحصلها اسرائيل وحاميها الامريكان للمصريين ويشير الأديب الروائي من خلال مغامرة بطل الرواية، بالحرمان الذي سيحصل في المستقبل القريب للمجتمع المصري ويدّق ناقوس الخطر. يبين الكاتب حزنه من هذه الواقعة الإجتماعية، من خلال أثره الأدبي، فالنص الأدبي برأي غولدمان، "هو بنية متولدة عن بنية أشمل وأعمق، هي البنية الإجتماعية للجماعة أو الطبقة التي يمثلها المبدع ولهذا لابد من دراسة النص الأدبي للكشف عن مدى تجسيده للبنية الفكرية للطبقة أو للجماعة الاجتماعية التي يعبّر عنها الكاتب ونقطة الاتصال بين البنية الدلالية والعمل الأدبي ولوعي الاجتماعي هي أهم الحلقات عند غولدمان والتي يطلق عليها مصطلح "رؤية للعالم"، فكل عمل أدبي يتضمن رؤية للعالم، ليس العمل الأدبي المنفرد فحسب؛ لكن الانتاج الكلي للأديب." [1] كما نرى هذه الرؤية عند أحمد خالد توفيق وأنّه يجسد الأحوال وأحداث طبقته الإجتماعية في المجتمع المصري، ويحاول توعية الناس.

9-2.الدعوة إلى الوعي

الأديب مرآة مجتمعه يؤثر و يتأثر فالأدب وخاصة الرواية في الآونة الأخيرة كثُر تركيزها على مآسي البشر وأخذت جانب التوعية والتوجيه فـ "كل حدث اجتماعي يستدعى فى بعض جوانبه عملية وعي وإنّ كل وعي هو أولا تصور يتطابق نوعا ما مع هذا الجانب من الواقع أو ذاك وإن البحث فى تطابق هذا التصور مع الواقع يقتضى نظرة اجتماعية شمولية."[2] إنّ الوعى فى رؤية غولدمان، هو "مظهر معين لكل سلوك بشرى يستتبع العمل".[3] وهو ما يستند إليه أحمد خالد توفيق فى روايته كما نشير إليها فيما يلى:

يشير الكاتب بالحقيقة الواضحة حول اليهود، على لسان جابر ويوّعي شعبه تجاه خطر إسرائيل:

"أنا رأيت كل شيء يتهدم، أنذرتهم ألف مرة؛ لكنهم لم يصدقوا أو صدقوا ولم يبالوا، أحيانا أشعر أن المصريين شعب يستحق ما يحدث له، شعب خنوع، فاقد الهمة. ينحني لأول سوط يفرقع في الهواء.في الماضي عندما كنت أتفلسف قلت لأحد أصدقائي: "لقد جمع (بلفور) اليهود في وطن واحد وعدهم به و بهذا أراح العالم منهم. سألني في غباء عمن هو (بلفور) فقلت: "هو رجل، جمع اليهود في وطن واحد و عدهم به وبهذا أراح العالم منهم. بدت عليه الدهشة و هتف: "رجل جمع اليهود في وطن واحد؟! واصلت كلامي: إعتقادي أن هناك وعدا آخر ثمة شخص جمع الأوغاد والخاملين والأفاقين و فاقدي الهمة من أرجاء الأرض في

---

[1]. آزاده منتظرى، محمد خاقانى و منصوره زركوب، النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، تهران، مجلة إضاءات نقدية، السنة الثانية، العدد السادس، **2012م**، ص**152-172**.

[2]. ابن خليفة مشرى، سلطة النص، الطبعة الأولى، رابطة كتاب الإختلاف، جديلية، **2000م**، ص **112**.

[3].لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ترجمة زبيدة القاضي، الطبعة الأولى، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، **2010م**، ص **25**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وطن قومي واحد هو مصر لهذا لا تجد في اليابان فاقد همة لهذا لا تجد في ألمانيا وغدا لهذا لا تجد في الأرجنتين أفاقا كلهم هنا يا صاحبي!"[1]

هدف الكاتب من هذا النص، إثارة همة شعبه أمام إسرائيل الغاصب ويشير بالقضية الهامة حول اليهود، بأن القوم الفريد في العالم، الذي ليس له مجتمع واحد هم اليهود. إنهم المتفرّقون في انحاء العالم وإن الكاتب واصل كلامه ويقول من معاهدة بلفور وفي هذه المقالة نقول حولها بالإختصار: "سارع وزير الخارجية البريطاني أرثر بلفور في 2 نوفمبر تشرين الثاني من عام (1917م)، إلى كتابة رسالة إلى مصر من بريطانيا وأحد زعماء اليهود في بريطانيا البارون روتشيلد وأدت إلى قيام دولة إسرائيل وما تبع ذلك من حروب وأزمات في الشرق الأوسط وكانت الرسالة، التي تعرف حاليا بوعد بلفور، أوضح تعبير عن تعاطف بريطانيا، مع مساعي الحركة الصهيونية لإقامة وطن لليهود في فلسطين." [2]

ويبين الكاتب حزنه من هذه المعاهدة ويصوّر تقززه من بلفور، الذي جمع اليهود في وطن واحد ليس لهم. إنّ اليهود فى رأي أحمد خالد توفيق، قوم عنصريون أنذال. يحزن الكاتب أن يستسلم المصريون، مقابل الإغتصاب الإسرائيلي ويسعى من خلال الإشارة إلى الشعوب المقتدرة مثل: يابان، ألمانيا، أرجنتين، يحثّ مجتمعه على المقاومة. فى دارستنا السوسيوليجية وفق نظرية غولدمان، نستطيع أن نرى العلاقة بين الواقع الإجتماعي والأثر الأدبي.

إنّ الكاتب في موضع اخر، يثير الغيرة والحمية في نفوس شعبه من خلال عودة بطل الرواية وصديقته من المجتمع "الأغيار"، بعد قتل "جابر" والذهاب بيده إلى "يوتوبيا":

"كانت الإحتفالات صاخبة بعودتنا، في البداية هناك طبقة واهنة من اللوم وتبكيت. طبقة ذابت على الفور، ثم يبدأ الإحتفال الحقيقي بالبطلين العائدين. أنهار من الخمر والفلوجستينسالت، حكيت قصتنا ألف مرة وفى كل مرة أضيفت تفاصيل جديدة تثير الخيال، لقد صرت رجلا ذهبت إلى هناك وعدت بيد أحدهم. كنت أحكي لهم عن (جابر) الأحمق، (جابر) الساذج، الذي لم يستطع أن يفهم قواعد اللعبة."[3]

يريد أحمد خالد توفيق، من خلال الإشارة بعودة علاء وصديقته جرمينال مسرورينِ من المجتمع "الأغيار" بقطع من جسد جابر وطعون علاء بسذاجة جابر وأن يسميه الأحمق، يحث شعبه إلى المقاومة والوعي أمام العدو الصهيوني ويعرف الكاتب أنّ الامريكان واسرائيل موزعو المخدرات والفقر والفساد فى العالم في دراستنا السوسيولوجية وفق رؤية غولدمان، إن الأحداث السياسية، والإجتماعية واحوال الطبقات الإجتماعية فى كل مجتمع تؤدي إلى الإبداع الادبي وهدف

---

[1]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة، دارالميريت، **2008م، ص 84-83.**

[2] . (https://www.google.com/amp/s/www.bbc.com/Arabic/in-depth-41818159.amp)ما هو الوعد البافور؟

[3]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة، دار الميريت، **2008م، 181.**

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الأديب في أثره الوعي الجَماعي؛ كما يقول غولدمان: "تطور وعي كل مجموعة اجتماعية وهيكلها العلقى في ارتباط وثيق مع عملها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي داخل المجتمع ولكن ليس هناك شك في الوعي الجماعي هو خارج الوعي الفردي."[1] والوعي هو ما يقول عنه غولدمان: "هي تشكل المظهر الأساسي الملموس للظاهرة التي يحاول علماء الاجتماع تعريفها منذ عشرات السنين بمصطلح الوعي الجمعي."[2]

9-3. الدعوة إلى وحدة شعب

بعد قتل جابر، إن المصريين ثائرون ويتحركون خلال الجموع المنظمة نحو "يوتوبيا"، يقول علاء:

(مايك رودجرز)، رجل المارينز جاء إلى دارنا ولم يكن متأهبا للمزاح. عرفت أنه يقوم بجولة على كل القصور هنا مع رجال في سيارة جيب عسكرية لم تتلفها مياه المجاري. قال إن علينا أن لا نغادر بيوتنا إلا للضرورة قال إن علينا ألا نقلق، كل شيء تحت السيطرة. هذه العبارة وحدها (لا نقلق فكل شيء تحت السيطرة) تعني أن نقلق جدا. سأله (مراد) عما هنالك فقال إن الفقراء ثائرون، ثائرون ويتقدمون في جموع منظمة عبر صحراء، ثم أضاف في لهجة ذات معنى: لا أريد أثير ذعر أحد لكن ربما نطلب منكم الفرار في أية لحظة! كدت أصيح في مراد: لماذا ترتجف؟ ما أتوقعه من أبي– لو كان حقا أبي–هو أن يغضب ولا يخاف يحتقر ولا يرتجف يغتاظ ولا يقلق يشتم و لا يلوم الرحيل؟ هذا لن يكون، هذه أرضي وهذا عالمي ولدت هنا لو كان أبي قد سرق هذه الحقوق فهي قد صارت لي بحكم الوراثة ولن أتخلى عنها من أجل أمثال (جابر)."[3]

يريد أحمد خالد توفيق في هذا النّص أن يدعو المجتمع المصري بالوحدة تجاه العدو الغاصب. يقول الكاتب، مادام المجتمع متفرق فالعدو غالب أمره عليهم لكن اذا الشعب اتحد فباتحاده يقهر الظلم والطغيان، وإنّ المستعمرين سيفرون من الأراضي الفلسطينية، رغم حماية الأمريكان والغرب، رغم كل أسلحتهم وقوتهم. وفق النظرية السوسيولوجية الغولدمانية، القائلة بأنّ الأثر الأدبي إنعكاسا من الأحاسيس والأفكار المشتركة بين أفراد الطبقة الإجتماعية حول أحداث المجتمع؛ كما نرى هذه الرؤية عند الأديب أحمد خالد توفيق، في هذه الرواية. في النظرية السوسيولوجية الغولدمانية، يقول غولدمان عن المفهوم رؤية العالم: "إنه التقدير الاستقرائي التصويري إلى أعمق مدى التحام الأحاسيس المتحركة لأفراد فئة اجتماعية ما ومجموعة مترابطة من القضايا والحلول التي يتم التعبير عنها على المستوى الأدبي عن طريق الإبداع، بواسطة

[1]. لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ترجمة زبيدة القاضي، الطبعة الأولى، دمشق، الهية العامة السورية للكتاب، **2010م، ص 70**.

[2]. لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ترجمة، زبيدة القاضي، الطبعة الأولى، دمشق، الهية العامة السورية للكتاب، **2010م، ص 39**.

[3]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة، دار الميريت، **2008م، ص 190-189**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الألفاظ وبواسطة كون محسوس من المخلوقات والأشياء."[1] وهي ما يشير إليه الكاتب في هذه الرواية ويسعى لوحدة الأحاسيس المشتركة في مجتمعه مقابل العدو الغاصب.

9-4. تضاد بين طبقتين

يشير أحمد خالد توفيق، بتضاد بين الطبقتين: الأولى سكان "يوتوبيا" والثانية الفقراء وهم المجتمع المصري، الذين يعرفون في هذه الرواية "بالأغيار". ويتنبه الكاتب قومه ويقول حينما يغتصب إسرائيل وطنهم، يتملّك ثراء أرضهم وآنذاك المصريون هم الفقراء. يتصور أحمد خالد توفيق، في روايته تضاد بين الطبقتين، خلال الإغتصاب الإسرائيلي هكذا:

بعد أن تمت مغامرة بطل الرواية في "مجتمع الأغيار" ويعود علاء وجرمينال إلى "يوتوبيا"، قال علاء:

"لقد تمت المغامرة ونجونا! لقد دخلنا الجحيم وعدنا منه. دسسنا رأسينا بين فكي التمساح وخرجنا."[2]

يعتبر علاء، المجتمع المصري بعد عودته من المغامرة، الشبيه بالجحيم، أي عالم أموات، عالم أسفل مقابل"يوتوبيا" ويتصور الكاتب في روايته المجتمع المصري في المستقبل القريب سيكون هكذا خلال إغتصاب إسرائيل ويريد من هذا المنطلق، أن ينبّه المصريين بأحوال مجتمعهم، بعد أن يتملّكه اسرائيل وامريكا. في الحقيقة "إن ظهور الطبقات الإجتماعية وتمايزها في أي مجتمع، يعد بيئة خصبة لظهور الفقر وتدني مستوى المعيشة."[3]

يبين الكاتب التضاد بين الطبقتين من خلال الإشارة إلى الدين لديهما ويشير بهذه الحقيقة على لسان بطل الرواية (علاء):

"بعض هولاء القوم متدين؛ لأن الدين هو الأمل الوحيد لهم في حياة أفضل بعد الموت.لا يمكن أن يتعذب المرء طيلة حياته ثم يموت فيتحول إلى كربون بلاثواب ولا عقاب. عندنا في "يوتوبيا"، متدينون كثيرون و الطائرات الذاهبة للعمرة لا تتوقف؛ لكن السبب–كما أعتقد– هو خوف سادة "يوتوبيا" من أن يفقدوا كل شيء في لحظة، أن يصحوا ليجدوا أنفسهم وسط هذا الزحام يبتاعون شطائر من كبد الفئران. إن الأمر يحتاج إلى عدد كبير من العمرات و الأدعية كي تتجنب هذا المصير الأسود الخلاصة أنه من العسير اليوم أن تجد متدينا بغرض التدين في حد ذاته."[4]

---

[1]. لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ترجمة، زبيدة القاضي، الطبعة الأولى، دمشق، الهية العامة السورية للكتاب، **2010م**، **ص 349**.

[2]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة ، دارا لميريت، **2008م**، **ص 180**.

[3]. حلا زيدان ذنون، معاضيرِي، منصور أحمد ابراهيم، الفقر المفهوم والأساليب، العراق أنموذجا، العراق، جامعة الموصل، ملحق، مجلة تنمية الرافدين، العدد114، المجلد 35، **2013م**، **ص 104**.

[4]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، قاهرة، داار الميريت، **2008م**، **ص 52–51**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

"ينظر إلى الدين، على أنه نسق إجتماعي يقوم على علاقة الإنسان بكائن أو كائنات أو قوى فوق الطبيعية يؤمن بها ويعبدها عن طريق وسطاء يعتقد الإنسان في تلك المجتمعات أنها تمثله ويتجدد الدين بنسق سلوكي وقانوني أخلاقي."[1] يشير الكاتب في هذه الرواية بالدين عند اليهود والأغنياء في "يوتوبيا" والمصريين (من لسان علاء، الذي من "يوتوبيا") خلال إحتلال اسرائيل في مصر. يقول علاء، أن المصريين يختارون الدين من أجل إيمانهم باليوم الفصل وبالحياة الأبدية بعد الموت؛ بأن خلقتهم ليست بالعبث وإن يتحمل المصريون الحرمان والعذاب بعد إغتصاب إسرائيل وحاميها امريكا؛ لأنهم يعتقدون بحياة أفضل بعد الموت، ثم يشير الكاتب بالدين عند أهل الثروة في "يوتوبيا" ليبين هذا التضاد بالوضوح للمخاطب. يقول علاء: ليس اليهود المتدين الحقيقي، رغم عباداتهم وهم يتظاهرون بأنهم المتدينون. يلتجأ الكبار في "يوتوبيا"، إلى الدين وهم يذهبون للعمرة؛ من أجل خوفهم، أن يفقدوا في اللحظة كل ما لهم من السعادة والثروة في الأرض التي تغتصَب منهم وهم يخافون أن يروا يوما أنفسهم بين "الأغيار"، الذين يعيشون فى فقر مدقع وهذه الصورة الحقيقية لاسرائيل عند الأديب الروائي، أحمد خالد توفيق. نستطيع أن نرى تركيز رؤية العالم الغولدمانية، على هذا الأثر الأدبي من خلال مضمون هذا النص.

وفى موضع الآخر، يتصور أحمد خالد توفيق التضاد بين الغني والفقير في "يوتوبيا" وفي المجتمع المصري هكذا:

"في هذه اللحظة اقترب منا رجل رث الهيئة له لحية غير حليقة وإن كانت ثيابه توحي بأنها زي رسمي غير معتني به ومد يده لنا: "هل معكما شيء يؤكل؟" هز (جابر) رأسه وواصل المشي، ثم قال: إنهم في كل مكان لاتوجد أعمال ما لم يجد عملا في مستعمراتكم بالساحل الشمالي فلا أحد يريد منه شيئا سوف يقضي حياته يبحث عن بقايا الطعام الملقاة في أكوام القمامة ثم يموت بالدرن ذات يوم فيجدونه جوار جدار هذه هي حياته كنت في هذه اللحظة قد بلغت قمة التقزّز و الذهول. أتذكر (يوتوبيا) وبيتي ودولارات التي أبعثرها أتذكر الشلة والفلوجستين الذي أتحرق شوقا له. أتذكر كلبي الذي يلتهم ما يشبع خمسة من هؤلاء يوميا لست مستعنا لحظة للتخلي عن هذا كله لكني كذلك لا أبتلع فكرة وجود كل هذا الفقر. الآن فقط أفهم هذه الأسوار العالية ورجال المارينز والمطار الداخلي لو تركنا كل هذا لسال هذا الطوفان ليغرقنا ويقتلنا. لا أعرف كيف وصل الأمر لهذا الحد لكن لابد من أن يستمر.[2]

بعد أن يلتقى علاء وصديقته، بجابر خارج "يوتوبيا"، يذهب جابر بهما الى بيته ويواجه علاء مع جابر في مجتمع "الأغيار" بالحقائق التي تكون نتيجة إغتصاب وجور اليهود وأمريكا. يبين الكاتب للمخاطب، بأن يريد اليهود وامريكا، العالم لنفسهما ومن مقاصدهما هي سيادة للعالم ويعرفهما الكاتب في هذه الرواية، سبب الفقر والفساد في العالم ويتصور الأديب الروائي من خلال قصته، العالم الحقيقي بعد الإستعمار في أرضه ومن خلال الإشارة بعلاء ومغامرته في الأرض

[1]. محمد أحمد، بيومي، علم الإجتماع الديني، الإسكندرية، دارالمعرفة الجامعة، **1985م، ص 174**.

[2]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، القاهرة دارالميريت، **2008م، ص 119-118**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

"الأغيار "، المطوية بالفقر والفساد، يشير الى هذه الحقيقة بأن لا يعتني اسرائيل وامريكا بالقضايا والظروف الصعبة التي يعيشها الفلسطيني ويبين الكاتب تضاد بين الطبقين بالإشارة إلى الكلاب انّها لعبة في "يوتوبيا" وتكون طعاما "للأغيار". نلاحظ هنا تعامل بين الأثر الأدبي وبين مجتمع الأديب؛ كما يشير إليها غولدمان في نظريته: "فهنا المبدع يتعامل مع النص الأدبي في علاقاته الداخلية مع البنية الدلالية لهذا العمل، في بنيته الاجتماعية والشاملة".[1]

وفي موضع اخر، يبين الكاتب هذا المعنى، من قول بطل الرواية هكذا:

"(يوتوبيا)، المستعمرة المنعزلة التي كونها الأثريا على الساحل الشمالي؛ ليحموا أنفسهم من البحر الفقر الغاضب بالخارج والتي صارت تحوي كل شيء يريدونه."[2]

يقول الكاتب في البدء، بأن "يوتوبيا"، المستعمرة ويبين هذا القول من لسان بطل الرواية، من "يوتوبيا"؛ ليقول إنّ اليهود يعلمون أن ليس لهم الوطن ويشير الكاتب إلى هذه القضية، على لسان علاء؛ ليبين هذه الحقيقة، أن إسرائيل غاصب. يشير أحمد خالد توفيق، أنّ انعزال اسرائيل من المجتمع المصري؛ من أجل إبتعاده من الفقر والغضب هو سببه الرئيسي. نلاحظ في هذه الرواية امتزاج الواقع الإجتماعي بالخيال. يقول غولدمان: "إن الرؤية للعالم، هي بالتحديد هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى، إنها بلا شك خطاطة تعميمية للمؤرخ وكنها تعميمية لتيار حقيقي لدى أعضاء مجموعة يحققون جميعا هذا الوعي بطريقة واعية ومنسجمة إلى حد ما."[3] وهو ما يستند إليه الكاتب في قصته.

9-5. دعوة إلى المقاومة و كفاح مستعمر

من القضايا الأخرى التي عالجها أحمد خالد توفيق في روايته، هي الدعوة إلى المقاومة وكفاح مستعمر ويصور هذا المفهوم من خلال الإشاره إلى "شارلي شابلين"، الفنان الشهير، من خلال قول جابر:

"كان هناك فنان عالمي، اسمه شارلي شابلين، أنا أعرفه ولا أدري إن كنت مثلي أم لا. ذلك الفنان صنع شهرته من إظهار بطله الفقير الضعيف ينتصر على الأثرياء وعلى رجال الشرطة قال ذلك الفنان ذات مرة: "يلقى الأثرياء في إفلامي شر مصير."[4]

---

[1]. فايو، محمد، مقدمات في نظرية الرواية لوكاتش غولدمان، باختين، مجلة، دراسات معاصرة، المركز الجامعة أحمد بن يحيى الونشريسي يتسمسيلت الجزائر، العدد الأول، شهر مارس، **2017م، ص 68**.

[2]. آحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، دار الميريت، **2008م، ص 20**.

[3]. لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ترجمة، زبيدة القاضي، الطبعة الأولى، دمشق، الهية العامة السورية للكتاب، **2010م، ص 26**.

[4]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، دار الميريت، **2008م، ص143**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يصور الكاتب في سطور مذكورة، الشخص الذي يتمنى نجاح مقابل الأثرياء وبلاد مستعمرة؛ لكن يعتقد، أن الفقر مانع لإنتصار هذا البطل؛ لكن أحمد خالد توفيق، من خلال إشارته إلى الفنان الشهير "شارلي شابلين"، وأنّه في أفلامه هو البطل الفقير نراه ينتصر على الأثرياء، يريد أن يحث مُواطنيه بإستمرار مقاومة ومكافحة مستعمِر ويقول إن الفقر، ليس المانع للإنتصار مقابل العدو غاصب. يدعو الكاتب في موضع آخر المصريين بالمقاومة مقابل إسرائيل:

"الظلام الليل والصحراء، ظلام احتمالات والإفكار. أعرف أنني أسطيع قهر (جابر) لو هاجمنا. لن ينتصر الفقر والشحوب وسوء التغذية على الثراء ورياضية منذ الصغر؛ لكنه يملك عنصر المبادأة والمفاجأة ويعرف الأرض. (جابر) يمشي وسط الصحراء بين النباتات الشوكية وبقايا الصبار. يلتف وراء تل صغير ويطلب منا اللحاق به."[1]

يقول الكاتب، أن الثروة ليس عامل إنتصار العدو الغاصب وأن الفقر ليس المانع لإنتصار "الأغيار"، ومن خلال الإشارة إلى جابر والصعوبات التي يتحملها في هذه الرواية لإنتصار مقابل العد، و رغم الفقر و الحرمان الذي يعيش فيه، يحث مُواطنيهم بالمقاومة والمكافحة مقابل العدو الغاصب ويقول الأرض لنا. "الأديب يصدر عن أفكار طبقته وهمومها وموقفها ولايطلب من الأديب أن يعكس أدبه من علاقات مجتمعه وأوضاعه فحسب، بل يطلب منه أن يشارك في تكييف مجتمعه وحل مشاكله وقضاياه."[2] كما يستند إليه أحمد خالد توفيق في روايته. يسعى الكاتب من خلال الوعي الجماعي يحث طبقته للتغيير ومن هذا المنطلق يدعوهم للمقاومة .كما قيل "الوعي الشمولي القادر على تغير التاريخ ولن يتحقق هذا إلا بفعل عبقرية الأديب، الذي يستطيع أن يعبر عن رؤية العالم لطبقة معينة... وهذا الممكن هو رؤية العالم."[3] وأن الوعي الجماعي هو ما يعرفه، لوسيان غولدمان ضروريا للتغيير ووفق هذه النظرية، أن الوعي الجماعي موجود في كل مجتمع مستعدة للتغيير وأن الأديب يوضحه ويبرزه في أثره فقط ومن هذا المنطلق يرغب مجتمعه للتغيير؛ كما ترتكز هذه الرؤية على قصة أحمد خالد توفيق وهدف الكاتب توعية ناس مجتمعه. يعتقد غولدمان "أن الكاتب لا يعكس الوعي الجمعى... بل على العكس يقدم بشكل متقن درجة المطابقة البنائية التي أدركها بعمق الوعي الجمعي نفسه فقط و هكذا فإن العمل يلون نشاطا جماعيا عبر الوعي الفردي لمبدعه... ."[4] وإن الوعي، وفق نظرية غولدمان: "ما يمكن أن تفعله طبقة اجتماعية ما، بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة دون أن تفقد طابعها الطبقى."[5] وهذا ما يشير إليه أحمد خالد توفيق في رواية "يوتوبيا"، ويدعو مجتمعه للتغيير دون أن يريدوا أن يكونوا جزءاً من الطبقة المرفّه في الساحل الشمالي لمصر.

---

[1]. أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، الطبعة الأولى، دارالميريت، **2008م، ص 172**

[2]. حلاب، نور الهدى، المنهج الاجتماعي في النقد-نشأته وخصائصه، مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، العدد 38، **2015م، ص 262**.

[3]. ولعة، صالح، البيوية التكوينية ولوسيان غولدمان، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، التواصل، العدد8، جامعة عنابة، **2001م، ص 255**.

[4]. لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ترجمة، بدر الدين عرودكي، بيروت، دار الحوار للنشر والتوزيع، **1993م، ص 41**.

[5]. جمال شحيد، مدخل لدراسة العنوان القصص، الكويت، دار الشؤون الثقافية، **1995م، ص 40**.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

10. النتائج

نستطيع أن نرى تركيز النظرية "رؤية العالم" لغولدمان، على هذا الأثر الأدبي لأحمد خالد توفيق، الذي يحاول الأديب بإنعكاس الوعي الجَماعي في أثره. وفق النظرية الغولدمانية، أن الأحداث السياسية، والإجتماعية، والثقافية في كل مجتمع، تؤدي إلى الإبداع الأدبي وتكون العلاقة وثيقة بين الأدب، والمجتمع ويمكن أن الأثر الأدبي يؤدي الى تغيير التاريخ أيضا. نستطيع أن نرى هذه الرؤية عند أحمد خالد توفيق فى رواية "يوتوبيا"، التي تصور حياة المجتمع المصري، خلال عام (2023م) وإن النظرية الغولدمانية، هي المشهودة عند الكاتب في روايته، خلال تصوير أحداث ومشاكل المجتمع المصري وتصوير القضايا المتعلقة بالفقر، والفساد، والحرمان، والتجاوز، والقتل و ... في المستقبل. يسعى الكاتب عبر أثره الأدبي تنبيه مجتمه بخطر إغتصاب إسرائيل، وأمريكا ويهدف أحمد خالد توفيق، أن يحث شعبه بالمقاومة مقابل ظلم، وجور البلاد المستعمِرة وهدفها أيضا، توعية ناس شعبهم.

حثّ أحمد خالد شعبه المصري إلى الخطر القابع أمامهم وإلى سياسة من النيل إلى الفرات التي نادى بها الصهاينة عبر الزمن وأنّ هؤلاء لايفترون عن الطمع إلى المنطقة بأكملها.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المصادر والمراجع

الكتب

بيومي، محمد أحمد (1985م)، "علم الإجتماع الديني"، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

توفيق، احمد خالد (2008م)، "يوتوبيا"ط1، قاهره: دار ميريت.

حجازي، سمير (2007م)، "قضايا النقد الأدبي المعاصر"، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية.

حمداوي، جميل (2015م)، "سوسيولوجيا الأدب و النقد"، ط1، المغرب: مكتبة المعارف.

الخطيبي، عبدالكبير (1971م)، "الرواية المغربية"، ترجمة: محمد برادة، الرباط: منشورات المكرز الجامعي للبحث العلمي.

رحماني، أحمد (2004م)، "نظريات نقدية وتطبيقاتها"، القاهرة: مكتبة وهبة.

رشاد شامي، حسان (1998م)، "المرأة فى الرواية الفلسطينية" (1965-1985)، دمشق: منشورات اتحاد كتاب غرب.

زرين كوب، عبدالحسين (1361هـ.ش)، "نقد ادبي"، طهران: اميركبير.

شحيد، جمال (1982م)، "فى البنيوية التركيبية، دراسة فى منهج لوسيان غولدمان"، ط1، بيروت:دار ابن رشد للطباعة والنشر.

عبد الوهاب، محمود (1995م)، "مدخل لدراسة العنوان القصص"، الكويت: دار الشؤون الثقافية.

عسكري، عسكر (2010م)، "نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي"، ط2، طهران: نشر فروزان.

علوش، سعيد (2009م)، "الرواية و الإيديولوجيا فى الأدب العربي المعاصر"، بيروت: دار المنهل اللبناني.

العيش، عبد الله (2005م)، "سيمائية العنوان فى مقام البوح"، ط2، دمشق: منشورات الجامعة.

غولدمان، لوسيان (2010م)، "الإله الخفي"، ترجمة: زبيده القاضي، ط1، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

———— (1982م)، "الوعي القائم والوعي الممكن"، ترجمة: بدرالدين عرودكي، بيروت: دار الحوار للنشر والتوزيع.

———— (1993م)، "مقدمات فى سوسيولوجية الرواية"، ترجمة: بدر الدين عرودكى، بيروت:دار الحوار للنشر والتوزيع.

———— (1996م)، "العلوم الإنسانية والفلسفة"، ترجمة: يوسف الإنطاكى، القاهره: المجلس الأعلى للثقافة.

غولدمان، لوسيان والآخرون (1986م) "البنيويةالتكوينية والنقد الأدبى"، ط2، بيروت: مؤسسة الأبعاث العربية.

مشرى، ابن خليفه (2000م)، "سلطة النص"، رابطة كتاب الاختلاف، ط1، جديلية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مغراوى، فاطمه (2015م)، "دراسة سيميائية لرواية بحر بلانور سنبيروت"، بيروت: دراالكتب.

وادي، طه (1996م)، الرواية السياسية، القاهرة: دارالنشر للجامعات المصرية.

المقالات

صالح، ولعة (2001م)، "البنيوية التكوينية و لوسيان غولدمان"، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية "التواصل"، العدد 8، جامعة عنابة، (صص245-269).

عبدالحنان، محمد (2017م)، "المجتمع المصرى فى رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق"، مجلة الأقلام الهند (فصيلة محكمة)، العدد4، السنة الثانية، (صص 85-62).

محمد، فايو (2017م)، "مقدمات فى نظرية الرواية: لوكاتش، غولدمان، باختين"، مجلة دارسات معاصرة، المركز الجامعة أحمد بن يحيى الونشريسي يتسميسليت الجزائر، العدد الأول، شهر مارس (صص 86-60).

المعاضيري، حلازيدان ذنون وأحمد ابراهيم منصور (2013م)، "الفقر، المفهوم والأساليب: العراق أنموذجا"، مجلة تنمية الرافدين، العراق، جامعة الموصل، ملحق العدد 114، المجلد 35، (صص 112-99).

منتظري، آزاده و محمد خاقاني و منصوره زركوب (2012م)، "النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره"، السنة الثانية، العدد السادس، تهران: مجلة إضاءات نقدية، (صص 172-151).

نور الهدى، حلاب (2015م)، "المنهج الاجتماعي فى النقد-نشأته وخصائصه"، مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، العدد 38، (صص 280-275).

المصدر الإنكليزية

Greenberg, Nathaniel. (2018)." Ahmed Khaled Towfik: Days of Rage and Horror in Arabic Science Fiction". Journal Critique: Studies in Contemporary Fiction. Volume 60. Issue2. pp169-178.

الموقع الإكتروني

https://www.google.com/amp/s/www.bbc.com/Arabic/in-depth-41818159.amp ما هو وعد بلفور؟

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)